يوسف العاني

تل الزعتر

ومؤتمر المسرح العربي بدمشق ..

ـ امس بلغ عدد القتلى ٥٠٠ قتيل ! وقبل ثلاثة أيام كانت الجثث في الشوارع والجرحى بلا دواء !

واليوم تتصاعد حدة القتال والقذائف تتساقط بعشوائية على البيوت ومن فيها ـ ان بقي فيها بشر ! ـ والايام تمر وفي كل مدينة في الشمال والجنوب، في السهل والجبل من لبنان تنهال عليها القذائف من القوات الانعزالية ومن جيش حكام سوريا ..!

الايام تمر و « تل الزعتر » محاصر تتساقط عليه الحمم من افواه المدافع على بعد عدة كيلو مترات عن دمشق ! وقوى الخير كلها تستنكر هذا الموقف .

عفوا ..!

فاتني ان اقول ان « مؤتمرا» يناقش « مشاكل المسرح العربي » يعقد ، الان .. ـ الان ـ .. وأرجو أن تعيد ـ قراءة كلمة « الان » .. اكثر من مرة ..

والمؤتمر سبق وعقد عام ١٩٧٣ ولابد وان تتم لقاءات اخرى واخرى لمناقشة « بنود » قرارات المؤتمر !

الان ـ وقبل قليل ـ اذاعت الانباء وصفا «ماسويا» لمجزرة ارتكبها الانعزاليون راح ضحيتها مئات من النساء والاطفال والشيوخ .

الآن اذاعت الانباء ان الدبابات والمصفحات التابعة لحكام دمشق قصفت مواقع القوى الوطنية في طرابلس وصيدا ..

الآن اذاعت الانباء ان قائد جسر الباشا قد اعدم هو وزوجته !

الآن يضرب « تل الزعتر » ، تضرب القوة العربية التي تتحصن فيه كذخيرة لضرب العدو الصهيوني .

والان يعقد المؤتمر المسرحي بدمشق لمناقشة قراراته ودراسة توصياته السابقة ! قضايا هامة جدا، وذات قيمة جدا ، ولكن متى ؟

الآن ؟

ليت مسارح دمشق تستعيد اليوم بعض ما قدم على خشبتها من مسرحيات لفرق عربية وتتذكر كيف كان الحماس حارا من أجل ان يكون المسرح العربي في خدمة قضيته ! من اجل ان يكون لفلسطين «مسرح» .. لا أن تكون فلسطين ـ والفلسطينيون ـ عناصر مسرحية لمسرح تعاد فيه مآسي يوربيدوس واسخيلوس ، وفق تخطيط واساليب جديدة تقف والفن الانساني على طرفي نقيض !

قبل أيام قصفت صوفر ، واليوم يقصف مخيم « البارد » ، القصف يجري على مختلف الساحات .

ومسرح دمشق كم احتضن بالامس من مسرحيات خيرة ليكون لكل مسرحية منها دور متقدم ، ليكون لها أثر في توعية المشاهد واثارة يقظته بما يجري حوله من تآمر وجر قوى الخير العربية الى مازق ومزالق تفتت وحدة قواه الوطنية ..

كل مسرحية كان لها دور بالقدر الذي توحي به.. (الحصار) ، « الطوفان » ، « ضمير المتكلم » .. ومسرحيات من لبنان والجزائر .. ومسرحيات سورية « حفلة من أجل ٥ حزيران » .

كان ذلك يجري بروح الفنان الملتزم الواعي .. والآن ؟

ماذا يجري على الساحة اللبنانية في ارض عربية زاهية ؟ .

اي فم هذا الذي لم يمتلىء بالدم وهو يجلس على طاولة المؤتمر المسرحي بدمشق ؟ واية كلمة سينطق بها ويقولها فنان من فنانى المسرح العربي ، فتخرج بلا دم ينفجر على حساب تمثيل مسرحية « رهيبة » لم يشهدها تاريخ المسرح ، فصولا كالفصول التي تؤدى وتمثل احداثها الآن في لبنان .. وفي (تل الزعتر)بتركيز دقيق ؟

من يتجرأ ـ الآن ـ ومن يعينه ضميره وانسانيته على هذه الجرأة ، ليناقش الفقرة الاولى من توصيات المؤتمر :

« متابعة الحركة المسرحية العربية في الوطن العربى وتنسيق توثيقها » . .

(تل الزعتر) هذه المسرحية الاسطورية البطلة ، يصد الهجمات ما بعد الخمسين .. انه يحاصر ويستعر ويقاتل ويقاوم ويهاجم !

أية مسألة من قضايا الضمير الفني ، يمكن ان تجد مكانها في مناقشة « قضية » غير هذه القضية مسرحية « تل الزعتر » ، الابرياء الذين يقتلون ، والضحايا الذين يتساقطون ، والتدخل الذي حمى اليمين الرجعي لكي يؤدي دوره كاملا ..

لماذا تمثل هذه المأساة الرهيبة ؟ ولماذا لا يناقشها المسرحيون في مؤتمرهم .. وتعلن الآراء صريحة واضحة بلا التواء ..

الآن وليس في اي وقت آخر ..

اما الفقرة الخامسة من توصيات المؤتمر المسرحي:

« تسهيل التبادل الفني بين الفرق العربية ودعمه وتنسيقه » فيمكن ان تؤجل هي وكل الفقرات الاخرى .. وتظل المسرحية الاسطورة « تل الزعتر » هي الموضوع الرئيس وهي القضية الرئيسة وهي الراية الخفاقة التى لن تسخر من كل ما يقال في مؤتمرات لا قيمة لها الآن البتة .

« الجمهورية » البغدادية
١٣ تموز ١٩٧٦